

فنون تشكيلية

زينة عاصي: رثاء الحرية الفردية

«حركة الجموع» هو عنوان المعرض الذي أقامته التشكيلية اللبنانية زينة عاصي في دبي. شخصيات فقدت فردانيتها وابتلعها الزحام، كأننا بها نقول: ثمّة بشر في هذه الحياة أكثر ممّا نحتمل

دبي - حازم سليمان

كبرت مساحة القلق في أعمال التشكيلية اللبنانية زينة عاصي (1974). اشتغالها المتجدد على مشهديات مازومة شكلاً وموضوعاً، أخذ ملمحاً معمقاً. الرغبة في رصد ثنائية المدن والبشر تحولت إلى هاجس تعبيرية، وامتنال لتجسيد انتكاسات شهدتها الكثير من المدن العربية. أعمال عاصي الجديدة التي قدمتها أخيراً في صالة «سوا» (دبي) تحت عنوان «حركة الجموع»، ليست كما تبدو امتداداً لمعرضها السابق «ساحة جماعية». الحفاظ على الأدوات والمناخ العام لا يحيلنا على مضامين سابقة. اللون في أعمال هذا المعرض صار أداة لخلق علاقات بصرية حافلة بالتضاد. النقش يغلب على غنائية كانت حاضرة في الشكل الذي تخلص من شبح إيغون شيلي وعلاماته البصرية الفارقة. 39 عملاً حملت توقيع فنانة لفتت الأنظار بتجاربها التي تنقسم بحيوية

«إشارة حمراء»
كولاج ومواد
مختلفة على
كانفاس - 150
× 100 سنتم -
2010

مقصودة من التشويش. خطوط حمراء في خلفية اللوحة تبدو منطبعة على الملايح. حالة الضيق التي تولدها تلك المشهديات، تقابل بلا مبالاة مستفزة. ولاء مُحير يتجاوز الاستسلام بتدبير شخصيات اللوحة لوضعها. في لوحة «ضوء توقف»، أو «إشارة حمراء»، يأخذ تعطيل رد الفعل قوة تعبيرية خاصة. تقدم الرسامة شخصياتها



تضم الرسامة شخصياتها في منطقة ملتبسة، وقد أوقفت وقم الزمن



الخارجية، تحول في هذا المعرض إلى ضرورة لتتبع فوضى نفسية يصعب تعقبها أمام كل ذلك الاحتشاد المنفر. ثمّة حيلة انطلت على الجميع. شخصيات مهزومة تقرا الكتب والصحف، أو تنفت دخان سجائرها في أفق رمادي. المدينة التي تلهينا بالتحايل على راداراتها، استكملت حصارها وسذت على الناس منافذ يسترقون النظر منها إلى سماء لا تنذر برحمة قريبة. قد تكون هذه الأسطر محاولة استنطاق لشخص زينة عاصي. في لوحات مثل «بورترية القارئ» (كولاج ومواد مختلفة على قماش - 120 × 120 سنتم)، تضع الفنانة شخصياتها في منطقة ملتبسة جداً. ثمّة إيقاف لوقع الزمن. يلغي ضرورة الحركة. لا نعرف إذا كان ما تفعله الشخصيات قد بدأ للتو، أو هي عالقة هنا منذ سنوات. هذا الهدم لمسارات حكاية يخلق مساحة

خاصة. تواجه الفنانة اللبنانية إغراءات التصوير بتحريفات تغذيها بإيقاعات داخلية، تنعكس على سطح لوحة مراوغة تستقطب العين. أعمالها لا تخفي مضامين بعيدة عما نراه مباشرة. فعل التورية يبدو خلف حشود بشرية وبنائية تغلق المشهد تماماً. مساحات مكتظة بتفاصيل تجهد العين، وخصوصاً لدى محاولة رصد فروق في هوية الأشكال القائمة على تيمة التكرار المبطن بتضليلات بسيطة، تزيد من إغراء الشكل. في مرحلتها الأخيرة، لم تعد زينة عاصي تطرح الحميمية كرد فعل على تهيمش الفرد. المادة اللونية المختلطة (زيت، واكرليك، وأحبار وخامات الورقية) قربت التجربة من حدود المواجهة. ثمّة رثائية واضحة للحرية الشخصية. حشودها ليست طقساً جمعياً، بقدر ما هي إبراز لمناخ اغترابي عاصي. تعطيل الحركة

وفق بنائية مترابطة، لكنها تنفي أدنى علاقة بين كل هذه الشخصيات. انصياح لضوء أحمر ينعكس لونياً بقدر وافر على العمل. وإذا أردنا تتبع ذلك التأسيس للعزلة والانغلاق على الذات، فستكون أمام عشرات الأعمال مثل لوحات «الأخبار»، و«أيد في الجيوب»، وسلسلة تجارب «حركة الجموع». ترسم زينة عاصي نفسها في بورترية وحيد في هذا المعرض. نراها جالسة تراقب عالم يتحرك أمامها في سكوت مدهش. وتنقلب على مناخ المعرض بلوحة «المزهرية» (سواد مختلفة على قماش - 180 × 180 سنتم). إلا أن أزهارها تظل عالقة في فكرة الزحام والاحتشاد. ثمّة أرق ومخاوف كثيرة في أعمال هذه الفنانة. كأننا بها نقول: هناك بشر في هذه الحياة أكثر ممّا يحتمل.

www.zenaassi.com



ثنائية المدينة والإنسان

مدن زينة عاصي ليست مرادفاً للمدينة. الكتل البنائية صارت أكثر قسوة، اتخذت أشكالاً أفقية ومخروطية. استكمال خلخلة هوية المكان أعطى الأعمال بعداً تعريبياً عنيفاً بعض الشيء. لم يعد الناس يذهبون إلى بيوت بل إلى مساحات ضيقة قوامها منتجات خادعة لشركات أثاث عابرة للقارات. مدن هذه الرسامة لا تفرز واقعا اجتماعياً. مساحة كبيرة من الازدواجية تبرزها بين تطور المدن والفرد. بشر يعيشون بعقلية العشيبة في الطابق 150. ليس في هذه الأعمال مواقف عاطفية ولا امتثال لحنين ما، بقدر ما هو لعبة بحثية تضعنا أمام تلميحات وإشارات ضخمة إلى مكمن الخلل بين الإنسان والمدينة.

zoom

زهراء المتروك: عن «جدتي مريم» وتابوت الحريم

القطيف - مريم عبد الله

ما إن تدخل المعرض الشخصي الأول لزهراء المتروك (1982) الذي تحتضنه صالة «مركز الخدمة الاجتماعية» في مدينة القطيف السعودية، حتى تستقبلك لافتة تبين أنه وإن كان معرضاً فنياً لافتاً عشريين، فإنه لا يزال أمراً غريباً أو خارجاً عن المألوف في مستنقع التقاليد الذي نعيشه، إذ خصصت الأيام الثماني الأولى من معرض «جدتي مريم» للذكور واليومان الأخيران للنساء، مع إلغاء نظام العوائل الذي يسمح باختلاط ما!

أول ما يصادفك لحظة دخول المعرض هو تابوت تسكنه لوحة الجدة مريم



طرقت الفنانة من افتتاح معرضها... لانها امرأة



التي أقيمت في كل من الجزائر وتركيا وروسيا عام 2007، كما شاركت في السنة نفسها في «معرض صالون الشباب» في الدوحة. وهي هنا استخدمت الاكرليك مع بعض اللطحات الذهبية والزخارف والألوان الترابية في إشارة إلى ماضي الجدة ومزجتها بألوان عصرية كالاحمر في إشارة إلى الأحفاد.

تقول: «لقد حاولوا إفسال معرضي الأول. وتذرعوا بتزامنه مع الموندبال، فاقفلوه أغلب أوقات الدوام. تقصدت وضع أولئك النسوة في توابيت. لن أعلق لوحاتي على جدران إلا خارج القطيف، أو فلتنق صورة صادمة تبين وضع النساء في مجتمعي، وكيف عولمت فقط لأنني امرأة».

ثم سرعان ما تنتقل هذه التشكيلية السعودية إلى الحاضر: «لقد طردوني من حفلة افتتاح معرضي الأول، ولم تشفع لي مشاركاتي الدولية والمحلية والجوائز التي حصدها، بحجة أنه ممنوع على نساء أن يحضرن بين الرجال! قالوا لي: الحريم برا. بل إن المسؤول عن صالة العرض هُدني باستدعاء المباحث وقال إنها أوامر من فوق، وطلبوا مني تكليف رجل ليشرح أعمالها». تقول زهراء والخيبة ترسم على وجهها وهي تنتقل بين التوابيت. ثم تسرد حكايات قديمة: «في هذه اللوحة، امرأة تستحم على حافة عين ماء بين مزارع القطيف تميزها خلفية سوداء حين كانت النسوة يخرجن إلى العين

وما بقي من أدواتها، كالحصير وأوان نحاسية توزعت على الأرض بين اللوحات. بدلا من تعليقها على الجدار، ارتأت زهراء توزيع لوحات معرضها العشر على أرضية الصالة بعدما وضعتها في توابيت. ووسط مهرجان الألوان التي انفلشت على لوحات صوّرت نساء في مختلف الوضعيات، وقفت زهراء بجلاية خضراء من التراث، تشع عيناها وهي تتقمص حكايات العائلة.

«جسدت لوحاتي نساء حقيقيات عشن مع جدتي. أبرزت هوية كل امرأة في ذلك البيت من تلك التي تتمتع بقوة شخصية وتمرد ما إلى المرأة الانقيادية والضعيفة، وهي السمة الغالبة على نساء مجتمعنا».

مع الفجر قبل استيقاظ الرجال. وهنا امرأة تجدل شعرها، وهناك تمضي بكامل زينتها إلى الموت الذي صورته على هيئة سرير حيث لا يمثل نهاية، بل حياة جديدة، وليس هناك فاصل بينهما».

تقول زهراء: «منذ عام 1997، شاركت زهراء في عدد من المعارض التشكيلية، من بينها معارض «الأيام الثقافية السعودية»